هوامش

تونس من البلدان الأكثر تأثراً بتغير المناخ، وهو ما دفع المعنيين بالبيئة إلى العمل على زراعة 12 مليون شجرة، سعياً إلى مكافحة التصحر والكوارث المناخية

يسقي أشجار النخيل في واحة بمنطقة الزعفران جنوبي تونس (فتحي بلعيد/ فرانس برس)

غابات تونس
تشجير يتحدى تغير المناخ

تونس ـ **إيمان الحامدي**

تسعى المنظّمات البيئية، التي تعمل على تحسين الغطاء الغابي في تونس، إلى التأقلم مع تغير المناخ في البلاد، من خلال زراعة أشجار مقاومة للعطش. ومنذ نحو ثلاث سنوات، أطلقت منظمات مدنية، بالتنسيق مع دوائر حكومية، مبادرة لغرس 12 مليون شجرة جديدة في تونس على مدى سنوات، بهدف ترميم الغطاء النباتي المتضرر من اشتعال الحرائق خلال الصيف، وسط شح في تساقط الأمطار خلال السنوات الأخيرة. ويضطر نقص التساقطات المطرية الجهات المبادرة إلى تكثيف الري اليدوي، واختيار الأشجار المقاومة للعطش على غرار الخرّوب والعنّاب. يقول المتحدث باسم شبكة تونس الخضراء (مجموعة جمعيات بيئية) حسام حمدي، إن «حملات التشجير من أجل بلوغ هدف زراعة 12 مليون شجرة تتقدم رغم العوائق المناخية»، مؤكداً أنه «سيعلن قريباً زراعة ناجحة لـ 1,3 مليون شجرة جديدة في البلاد». ويؤكد حمدي، لـ «العربي الجديد»، أن «تغير المناخ خلال السنوات الماضية كان قاسياً، وتُرجم في نقص في الأمطار وارتفاع في درجات الحرارة واشتعال الحرائق، غير أن ذلك لم يقف حاجزاً أمام استمرار مبادرات التشجير».

في المقابل، يؤكد حمدي أن «التحديات المناخية دفعت إلى الاتجاه نحو زراعة الأشجار المكافحة للجفاف، من بينها الخرّوب والعناب، وهي أشجار ذات مردودية اقتصادية عالية»، على حد قوله. وتتميّز شجرة الخروب بقدرتها على تحمل الجفاف والبرد والرياح القوية، وتنمو في الأراضي الصخرية الوعرة والتربة الرملية الفقيرة، سواء كانت حمضية أو قليلة القلوية (وصف لمقدار السعة الكمّيّة لمحلول مائي كي يعدّل حمضاً) على أن تكون تربتها جيدة التصريف. كما تكتفي شجرة الخروب بمعدل 30 مليمتراً من الأمطار السنوية». يضيف: «نقاوم نقص الأمطار بالتعويل على الري التكميلي، ونستعمل الجرارات لري الأشجار الغضة وزيادة حظوظ إنباتها»، مشيراً إلى الكلفة الإضافية التي تخلقها الحاجة المكثفة للري في ظل نقص التساقطات المطرية.

ويرى المتحدث باسم شبكة تونس الخضراء أن «نقص الأمطار والاحتباس الحراري هما النتيجة الطبيعية للسياسات التي انتهكت البيئة، والاستغلال المفرط للثروات الطبيعية». وفقدت البلاد أكثر من 60% من غطائها الغابي خلال الـ 70 عاماً الماضية بسبب الاستغلال المفرط لأراضي الغابات لأغراض زراعية أو عقارية. ويقول حمدي إن «الـ 12 مليون شجرة التي نريد غرسها غير كافية لتجديد الغطاء النباتي والغابي الذي تضرر بسبب عوامل عدة، وفاقم تغير المناخ في البلاد».

وتُوفّر الدوائر الحكومية لتنفيذ مبادرات التشجير أنواعاً مختلفة من الأشجار التي تشكل الغطاء الغابي في تونس، من بينها الصنوبر الحلبي والبندق والأكاسيا والسرو والكلبتوس، وهي أشجار ذات قيمة بيئية واقتصادية. ويوضح حمدي أن «الغطاء النباتي في تونس تضرر كثيراً من جراء الحرائق التي قضت على مساحات واسعة من الغابات، عدا عن تأثيرات الزحف العمراني، والاستغلال المفرط للأشجار في أغراض صناعية، ما أدى إلى تصحر مناطق عدة. وتستعين الجمعية بخبراء لاختيار المناطق الأكثر تضرراً لتشجيرها.

ومنطقة الغابات في شمال غرب تونس من أكثر المناطق ثراءً وتنوّعاً لجهة الغطاء النباتي، كما أنها تؤدّي دوراً مهمّاً في التوازن البيئي في المنطقة وتُلقّب بـ «أمازون تونس». وتفيد بيانات المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية بأنّ الغابات تمثّل نحو 34% من مساحة تونس المقدّرة بـ 163 ألفاً و610 كيلومترات مربّعة، وتمتدّ في الشمال الغربي والوسط الغربي، فيما يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة. أما قيمتها الاقتصادية، فتُقدّر بنحو 932 مليون دينار تونسي (نحو 310 ملايين دولار أميركي).

ويقول حمدي إن مبادرات التشجير لا تعود إلى المناطق المتضررة من الحرائق إلا بعد انقضاء مدة تتراوح ما بين سنتين وثلاث سنوات، إذ يترك المجال للتجدد الطبيعي للغابات، في وقت يتم فيه التركيز على دعم الغطاء النباتي في المناطق التي تعاني من اختلال في التوازن الإيكولوجي نتيجة التدخل البشري المفرط.

وكشفت نتائج المسح الاستقصائي للبنك الأوروبي للاستثمار بشأن المناخ لعام 2022، في نسخته الأفريقية الأولى التي نشرت نتائجها في أعقاب مؤتمر COP27، أن 84% من التونسيين المشاركين في المسح يرون أن تغيّر المناخ يؤثر بالفعل على حياتهم اليومية.

كما بينت النتائج أن 52% من المشمولين بالمسح يعتقدون أن تغيّر المناخ والتدهور البيئي قد أثرا على الدخل ومصادر المعيشة، وتُعزى هذه الخسائر عادة إلى الجفاف الشديد أو ارتفاع منسوب مياه البحر أو تآكل المناطق الساحلية أو الأحوال الجوية بالغة الشدة، كالفيضانات أو الأعاصير.

وهذا العام، كانت حرائق غابات تونس أقلّ حدّة مقارنة بما كانت عليه في الأعوام الأخيرة، فلم تتجاوز المساحات التي التهمتها النيران 297 هكتاراً في الفترة الممتدّة من يناير/ كانون الثاني 2024 وحتى 13 أغسطس/ آب الماضي، في حين أنّ 1798 هكتاراً كانت قد تضرّرت جرّاء الحرائق في الفترة نفسها من عام 2023.

وكان حريق ملولة (2023) من بين الأعنف في الأعوام الأخيرة، إذ طاولت النيران أكثر من 1500 هكتار وفقاً لتقديرات الناشطين في المجتمع المدني حينها. وحرائق الغابات في صيف تونس الخطر الأكبر الذي يهدّد البلاد، ولا سيّما أنّ مصالح الغابات لم تتمكّن بعد من اكتشاف الأسباب الحقيقية لاندلاع الحرائق التي يُقيّد 90% منها ضدّ مجهول.

باختصار

منطقة الغابات في شمال غرب تونس من أكثر المناطق ثراءً وتنوّعاً لجهة الغطاء النباتي، كما أنها تؤدّي دوراً مهمّاً في التوازن البيئي في المنطقة وتُلقّب بـ «أمازون تونس»

■■■

تغير المناخ خلال السنوات الماضية كان قاسياً، وتُرجم في نقص في الأمطار وارتفاع في درجات الحرارة واشتعال الحرائق

وأخيراً

في مراوغة اليأس

معن البياري

لستُ أتذكّر اسم القانونيّ الذي أجاب عن تعريف الفُحش الذي يُقاضى عليه مرتكبُه في مادة صحافية بأنه يعرّفه عندما يراه. قياساً، لا أجدني في حاجةٍ إلى معاجم العربية وأطاريح علماء النفس لأعرف ما هو اليأس، فكثيرٌ منه ألقاني فيه، أتعايش معه، يصحبني وأصحبه في غير وقتٍ ووقت. وأراه في عديدين بيننا، أصدقاء وزملاء ومعارف، لما نتداول في الذي قدّامنا على الشاشات. يستبيح العدو فلسطين ولبنان، يقتُل كما يشاء، لا يكترث بشيء، ولا يحترم أحداً، ولا يلتفت إلى أي أخلاق أو اعتبار. والنظام العربي الرسمي، ما شاء الله، على وداعتِه إياها، على سكينته التي نعرف. والأمّة ترهن انتصارَها بشبّانٍ مجاهدين صبورين في غزّة، محاصرين، متروكين، عتادُهم بعض سلاح بسيط، وإيمان وفير، وإرادةٌ وبسالةٌ مؤكّدتان. ترى الأمّة في مقدور مقاتلين مقاومين، هناك في جنوب لبنان، أن يُحدِثوا في إسرائيل الهزيمة المشتهاة. هذا هو المشهد، فيه دمٌ كثير، وتهديمٌ، وانتهاكٌ صريحٌ للجسد العربي المبطوح لأفاعيل الإسرائيلي. كيف، إذن، لا يتسلّل اليأسُ إلى جوف كلٍّ منا، ثم يستبدّ بنا، نرى لبنان يُحاصر برّاً وبحراً وسماؤه ملعبٌ لطيران العدو القاتل. نراهم هناك في غزّة يغادرون عاماً من التمويت والتهجير والتجويع والتشريد والحصار، وفيهم بعض أملٍ بنجاة في العام الذي يعبرون إليه. ليعذرنا الإمام عليّ، قال: «وكل الحادثاتِ إذا تناهَت/ فموصولٌ بها فرجٌ قريبُ». ذلك أنها فداحاتٌ في الحادثاتِ، ليس في لبنان وفلسطين فحسب، بل أيضاً في باحات خرابٍ عربيٍّ عميم، في سورية وتونس واليمن والسودان، ودولٍ أخريات، تُعمينا عن انتظار فرج قريب. لأننا في يأس. وهذا، على ما يبسّط العارفون، شعورٌ بفقدان الأمل من تحقيق شيءٍ مُرتجى أو مُشتهى أو مطلوب، شعورٌ يأخذنا إلى الذي نحن فيه، الإحباط والكآبة وما يحفّ بهما من خذلان. نحاول أن ننقذ ما تبقّى فينا من حشايانا من مضادّات، ندفع بها مرض القعود عن عملٍ ما، عن شغلٍ يهزم يباساً يزحفُ إلى أرواحنا، فتراناً نكتُب، في الأدب والسياسة والفكر. نقول الذي يحسُن أن يقال، نحاول أن ننتزع حقّنا في الصراخ، أن ننشل الهزيمة في قيعان أبداننا، أن نقوى ما أمكن أن نقوى، أن نرى في قتل جندي إسرائيلي في رفح في الجنوب الفلسطيني أو مارون الراس في الجنوب اللبناني إسعافاً لجروحٍ في جلودنا. ولمّا قال العليّ القدير في محكم تنزيله «... إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»، حاشا أن نكون من هؤلاء، وإنما هو كفرٌ بالكذب الذي يبيعه حاكمون بين ظَهرانَينا، يحدثوننا، أو على الأصح يحدثون أنفسهم، عن وقوفهم مع فلسطين ولبنان، وهم يُضحكون العدو الذي يتحالف بعضُهم معه عليهم، ذلك أنهم أصغر من أن يؤخذوا على محمل بعض الجد في هذا الشأن وغيره. حاشا أن يصير فينا يأسٌ من روح الله ورحمته، فقد قالها الباقون هناك، في حادثاتٍ متواليات، في غزّة وغيرها، ليس لهم إلا الله وحده، بعد الذي تأكّد مائة ألف مرّة أو أكثر عن هوانٍ يستطيبه أهل الحكم في غير بلد عربي على قدرة وكفاءة.

ليس اليأس مرضاً فعقار يشفينا منه، ولا عدماً نستهوي أن نكون فيه، وإنما ناتجُ خسران كثير، وفقدانٍ مهول، أحدثتهما فينا أعطابٌ عميقةٌ في الحال العربيِ منذ عقود، عنوانها الأول أوجاع هزائم لا تنفكّ تزيد وتزيد، أوجاع خيباتٍ لا ترعوي فتغادرنا. تبدو عظةً متعاليةً قولة الزعيم المصري العتيق، مصطفى كامل (توفي في 1908) «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس»، إبّان استنهاضه الأمة المصرية في مناهضة الاحتلال البريطاني. تبدو نائية عن الحقيقة المرّة، أن في الوسع أن نعيش مع اليأس، فالحياة تسعُ اثنيْنا معاً.

لنرحل إلى التاريخ، سنصادف، في دوراته ووقائعه وحوادثه، أن الأمم تنام وتنهض، وأن الدنيا لا تستقيم على حال، وأن المهزومين ينتصرون تالياً، وأن المنتصرين يخسرون وينحسرون... قالها أبو البقاء الرندي قبل زمن بعيد: هي الأمور كما شاهدتها دولٌ/ من سره زمن ساءته أزمان. ... وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ/ ولا يدوم على حالٍ لها شانُ». ... إذن، لنُراوغ اليأس، لنُماشيَه وقتاً ونقوى عليه وقتاً آخر... لنحاول، لعلّها صحيحة قولة سعد الله ونوس، وإنْ فيها مجاز وفير، «إننا محكومون بالأمل، وما يحدُث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ» ... هل قلتُ التاريخ؟ نعم. يا لها من لعبة طويلة، إذن، لسنا نملك فيها، نحن من غير أهل السلاح، سوى مراوغة الأمل.

> تنام الأمم وتنهض، والدنيا لا تستقيم على حال، والمهزومون ينتصرون تالياً، والمنتصرون يخسرون وينحسرون

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**